







الجانُ السَّرعَة

Willows House
منشورات
ويلوز هاوس



جنوب السودان، جوبا، كاتور، مربع ٨ جوار مركز جيران

www.willowshouse.net
www.jubabok.com
gatawillow@gmail.com
willowshouse3@gmail.com
+211927302302

اسم الكتاب: ألحانُ السُّرعة.

اسم الكاتبة: نجلاء عثمان التوم.

رسومات: محمد عبد الرسول.

حجم الكتاب: 16×16سم.

تاريخ النشر: الطبعة الأولى 2020م.

عدد الصفحات: 76 صفحة.

رقم الإيداع: 55120/2021

الترقيم الدولي: 9782977265972 1927

التصميم: محمد الصادق الحاج.

.....
حقوق النشر محفوظة للمؤلف والناشر ©

ولا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

.....
دار ويلو هاوس غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعتبر الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلف ولا تعتبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

نجلء عثمان التوم

أَلْحَانُ السَّرْعَةِ

رسومات:

محمد عبد الرسول

Willows House
منشورات
ويلوز هاوس

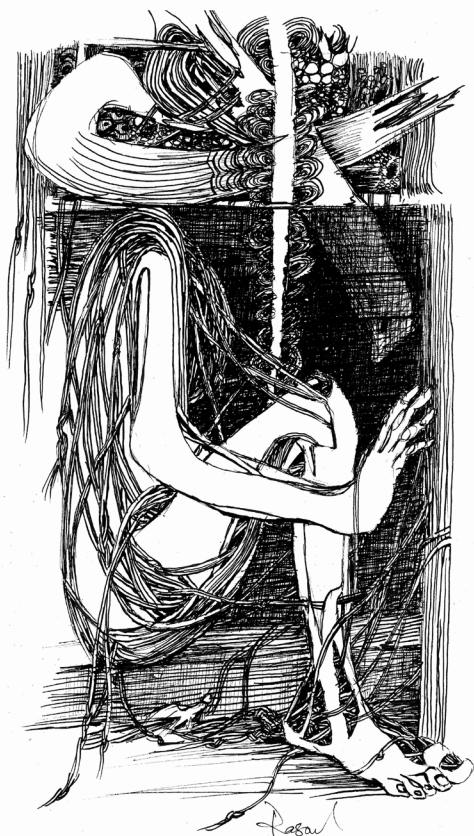


2021

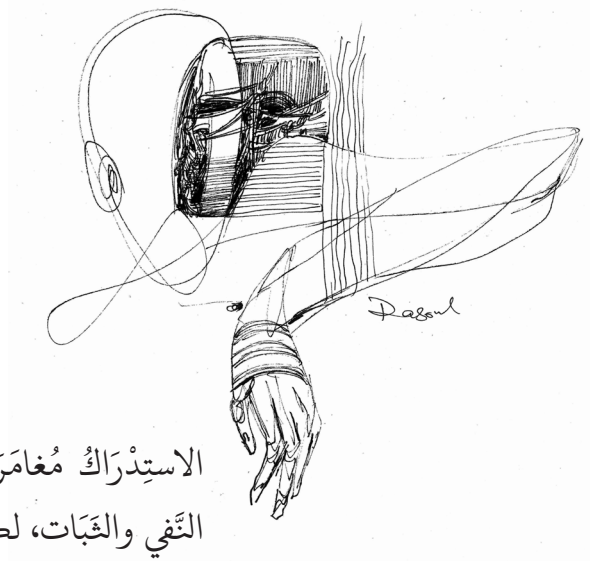


اسْتَدْرَكَ:

نَقَضَ تَدْبِيرَهُ، أَحْيَا نُقْصَانَهُ، مَعَ
انْغِمَارٍ فِي التَّفْصِيلِ، يَلْحَقُ بِأَسْنَانِهِ مَا فَاتَهُ مِنْ
ذَاتِهِ. لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ عَظْلَةً دَاخِلِيَّةً، وَالْإِدْرَاكَ شُعُوبَهَا،
فَهِيَ تَخُصُّ الْجِسْمَ بِالتَّحَامِيهَا فِيهِ دُونَ تَدْعِي تَمَثِيلِ هَذِهِ
الشُّعُوبِ. الْإِدْرَاكَ لَا يَقْبَلُ التَّمَثِيلَ وَالتَّوَسُّطَ، وَمَعَ تَعَدُّدِهِ الشَّدِيدِ
وَكثَافَتِهِ؛ يَصِيرُ مَنْزِلَةً كَامِلَةً سَدِيدَةً مِنْ مَجْمُوعِ نَقَائِضِ تَنَسُّقِ
بِدَقَّةٍ فَائِقَةٍ مَعَ عِصْمَةِ الدَّخْضِ. اسْتَدْرَكَ أَيَّ انْحِرَافٍ بِاتِّجَاهِ
الصَّحِيحِ، لَكِنَّهُ انْحِرَافٌ عَلَى آيَةٍ حَالٍ. وَيَقْتَضِي الانْحِرَافُ
جَادَةً، وَلَكِنْ أحياناً يَتَحَرَّكُ مِنْ غَيْرِهَا
مُسْتَمْسِكاً بِظِلَافَتِهِ وَمُتَحَرِّراً مِنْ
مَعْنَاهُ.

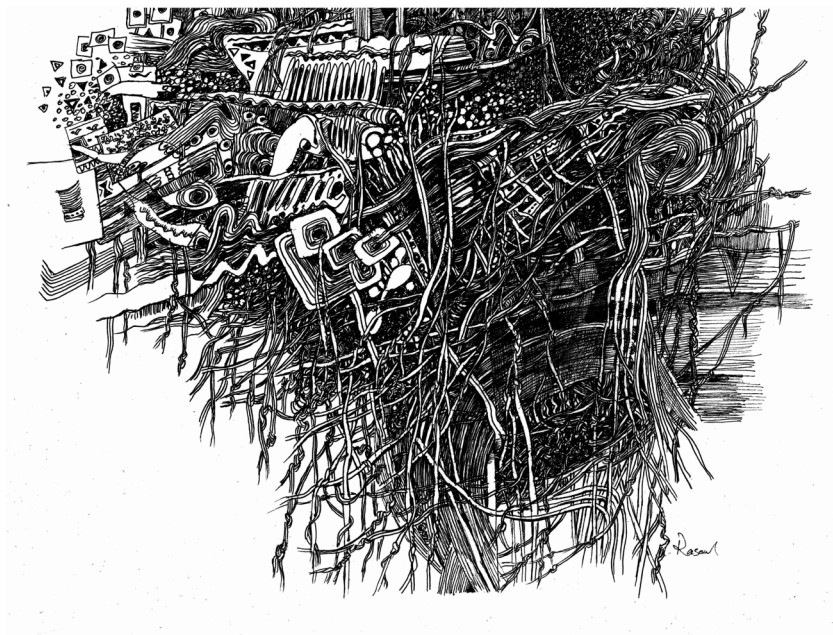


الاستِدراكُ على ذلك ليس مُجَرَّدَ عَوْدَةٍ أو حُوقٍ،
الاستِدراكُ المُتَحَرَّرُ بِنَاءٍ جَدِيدٍ خَاضِعٌ لِلإِخَاطَةِ
وَالِإِطَاحَةِ وَالْقَفْزَةِ. اسْتَدْرَكَ يَعْنِي بَنَى مُسْتَعْمِلاً
الهِشِيمَ؛ وَلَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُجَرَّدَ رُكَّامٍ، إِنَّهُ مَادَّةٌ
رَكْضِيَّةٌ تَكَادُ تَتطَابَقُ مَعَ هَنْدَسَتِهَا، مَادَّةٌ عَارِفَةٌ
وَاصِلَةٌ مِنَ الشُّعُورِ الْأَصْلِيِّ وَلَيْسَ مِنَ التَّجَرُّبَةِ.
يَقُومُ هَذَا الصَّرْحُ عَلَى مَيِّزَةِ الْكَبْدِ، كَبَدِ الرَّجْمِ،
مُطْلَقاً غُنْفُوَانُهُ فِي نَظَرَةِ صَاحِبِهِ إِلَيْهِ، نَظَرَةُ
الْمُجَدِّدِ وَلَيْسَ الْآبِقِ.

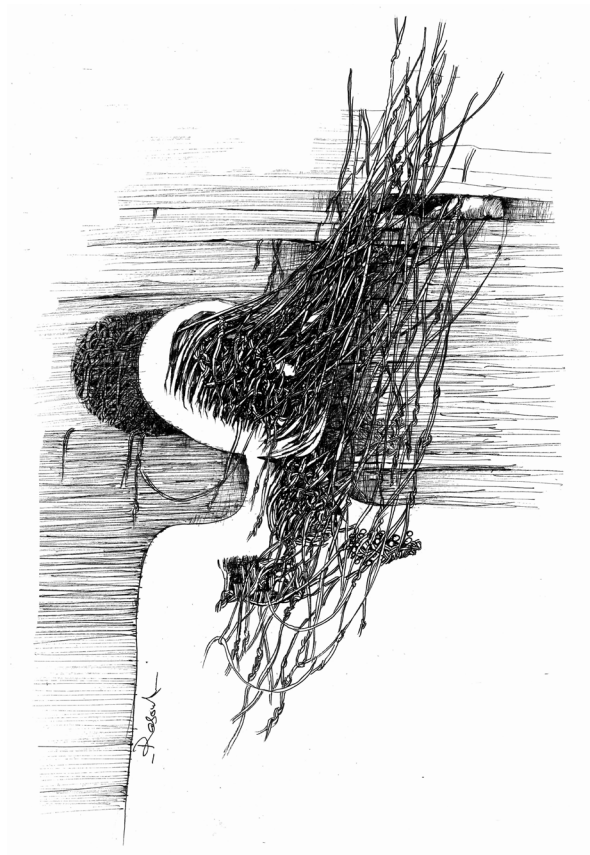


الاستِدْرَاكُ مُغَامَرَةٌ، فهو مَشْدُودٌ بين
التَّفَنِّيِ وَالتَّجَبُّاتِ، لَكِنَّ جَوْهَرَهُ مَعَ ذَلِكَ
هُوَ السَّلَامَةُ وَالتَّجَاؤُ فِي الْخَطَرِ وَلَيْسَ
مِنْ الْخَطَرِ. لَيْسَ ثَمَّةَ مَسَافَةٍ بَيْنَ هَذِهِ
الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ سِلْسِلَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ
التَّحَقُّقَاتِ الْمُتَقَاطِعَةِ الْمُتَخَاصِبَةِ.

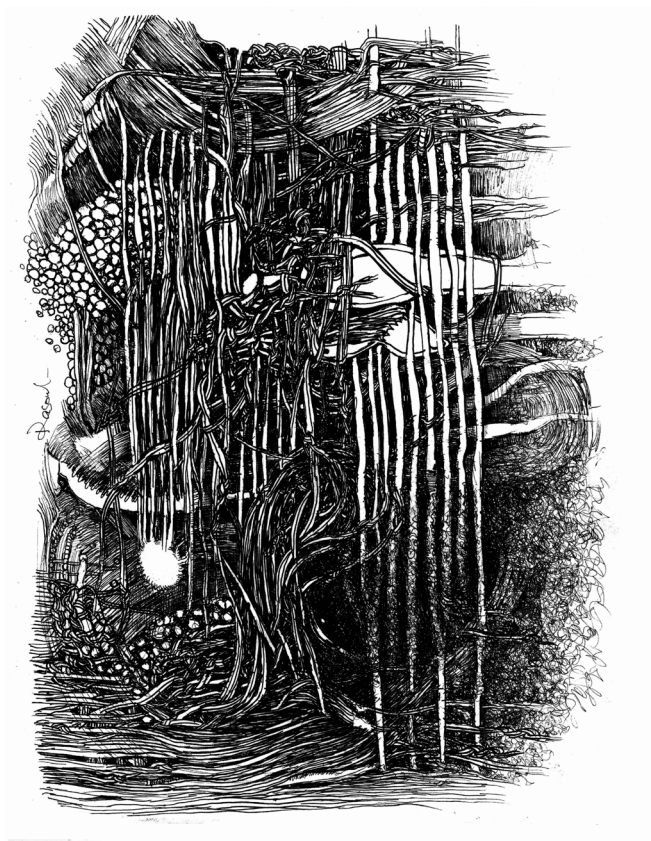
الْخَطَرُ هُوَ أَصْلُ النَّجَاةِ، الْفَرْعُ أَصْلُ الْأَمْنِ، الْجَسَدُ
أَصْلُ الْقَبْرِ. لَا يَتَرَفَعُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ، يُحِيطُ شَيْءٌ
بِكَثِيفِ شَيْءٍ فِي لَحْظَةٍ مُعَيَّنَةٍ. يَتَحَقَّقُ الْإِشْبَاعُ،
أَيَّ يَبْدَأُ الْجُوعُ لَحْظَتَهُ، فَيَتَحَرَّرُ الْمُحِيطُ مِنْ عِلْمِهِ؛
وَالْمُحَاطُ بِهِ مِنْ كَثَافَتِهِ، ثُمَّ يَتَبَادَلَانِ الْأَدْوَارَ. وَلِذَلِكَ
لَا يَجِبُ تَصَدِيقُ الْمُسْتَغِيثِ؛ فَهُوَ آمِنٌ مِمَّا يَسْتَغِيثُ
مِنْهُ، وَلَا تُصَدَّقُ أَيُّ تَطَرُّفٍ، خَاصَّةً تَطَرُّفُ الْجُنْثِثِ،
فَكُلُّ ذَلِكَ مُحَاوَرَاتٌ وَتَنْقِيبٌ فِي الْعِصْمَةِ. لَا تَكَثِّرْ
لِلْمَلْهُوفِ، وَإِيَّاكَ وَمُسَاعَدَتَهُ عَلَى الْهَرَبِ، فَبِذَلِكَ
تَنْفَقُ نِظَاقَاتُ مَعْرِفَتِهِ، وَتُضَاعُ مُعْظَمُ مَعْقُورِيَّتِهِ.
لَكِنْ لَيْسَ ثَمَّةُ هَذَرٌ أَبَدًا، فَحَتَّى ذَلِكَ صِيرُورَةٌ،
تَلْتَحِمُ فِي تَدْخُلَاتِكَ مَعَ صِيرُورَتِكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْقِذُ.
رَبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ اسْتِدْرَاكُكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مَنْ تُغِيثُ.



المُسْتَدْرِكُ غِشَاءٌ، إِنَّهُ لَيْسَ أَكْثَرَ مِنْ تَعَرُّضٍ. مَنبُوضٌ حُرٌّ مِنَ الْبَوْصَلَةِ،
بَلْ مِنَ الْإِتِّجَاهِ نَفْسِهِ. يَخْرُجُ هَذَا الْعَارِي الْمُسْتَعْرِ فِي الْمَغْمُوضِ،
مَكَانُ التَّخْرُجِ مِنَ الْإِشْبَاقِ، حَيْثُ يَفْتَقِرُ هِيَ الرَّبُّ. الْمِعْقَلُ انْزِلَاقٌ
مُسْتَمِرٌّ، الْخُرُوجُ تَطَوُّرٌ بِإِتِّجَاهِ مَادَّتِهِ الْحَامِ، حَتَّى أَنَّ الْخُطْوَةَ تُضْطَرُّ
إِلَى خَلْقِ الْمَشْيِ، وَيُضْطَرُّ الْمَشْيُ إِلَى خَلْقِ الْإِصْغَاءِ، وَالْإِصْغَاءُ يَخْلُقُ
اللَّحْظَةَ الَّتِي تَخْلُقُ الْخِذْلَانَ. كُلُّ شَيْءٍ اسْتَعَرَّ، حِذْ، أَنْجُمٌ. الْجَحِيمُ نَقَرَةٌ
وَاحِدَةٌ خَفِيفَةٌ عَلَى الرَّقَّةِ الصَّحِيحَةِ. وَالرَّقَّةُ الصَّحِيحَةُ لَيْسَتْ مَوْضِعًا
بَطَبِيعَةِ الْحَالِ، بَلْ الْمَغَادَرَةُ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ، صَدَى نِدَاءٍ لَمْ يُطْلَقْهُ أَحَدٌ.
بِاخْتِصَارٍ؛ لَا تُوجَدُ رَقَّةٌ صَحِيحَةٌ إِلَّا فِي هَيْئَةٍ مَفْرُوعِهَا، إِشَارَةٌ مُحَدِّقَةٌ
بَلَا مُشَارٍ إِلَيْهِ مَضْمُونٌ.



المُسْتَدْرِكُ هَالِكٌ إِلَّا فِي مَعْمَعَةِ الْغِشَاءِ، إِلَّا فِي الْخَطَرِ. لَذَلِكَ الْعَارِي حُظْوَةٌ؛ لِأَنَّهُ، وَإِنْ يَكُنْ فِي أَصْلِهِ جُوعٌ، إِلَّا أَنَّهُ، وَبِمُجَرَّدِ تَوَجُّهِهِ إِلَى عُرْيِهِ، يَفْقِدُ تَعْرِيفَهُ، يُصْبِحُ الْمَنْزِلَةَ بَيْنَ خَطَرَيْنِ؛ لِأَنَّهُ يَقْبَلُ الْخَطَرَ بَلْ وَيَمْتَطِيهِ مَعَ أَجْنِحَةٍ أُخْرَى إِلَى الْخَطَرِ. هَذَا هُوَ التَّعَرُّضُ. مَعَ ذَلِكَ، الْمُسْتَدْرِكُ غَنِيمَةٌ ذَاتِهِ، وَخُرُوجُهُ كُلُّهُ عَلَى مَصِيرِيَّتِهِ لَيْسَ أَكْثَرَ مِنَ النُّقْطَةِ الْإِحْدَاثِيَّةِ الْعُلْيَا لِنَبْضَةٍ وَاحِدَةٍ؛ النَّبْضَةُ حَرَكَةٌ ثُنَائِيَّةٌ، تَحْتَاجُ إِلَى السُّكُونِ احْتِيَاجَهَا إِلَى الْحَرَكَةِ. لَيْسَ ثَمَّةَ نَبْضَةٍ مِنْ وَصَالٍ وَاحِدٍ، النَّبْضَةُ وَصْلٌ وَقَطْعٌ. يَخْرُجُ الْمُسْتَدْرِكُ فِي هَذِهِ الضِّدِّيَّةِ، وَتَكُونُ حَرَكَتُهُ دَائِمًا نَاقِصَةً إِذَا اسْتَوَتْ عَلَى الْأَمَلِ وَحَدَهُ. أَمَّا الْخُرُوجُ فَكُلُّهُ حُدُوثٌ فَتَقِي، دَبْذَبَةٌ فِي صَنْكِ الْغِشَاءِ تَسْمَحُ بِتَنْفُّسِ الْإِمْكَانِ، بِمُلَامَسَةِ الْإِلْتِهَابِ دُونَ تَعَلُّمِ أَيِّ مَنَاعَةٍ ضِدَّهُ.

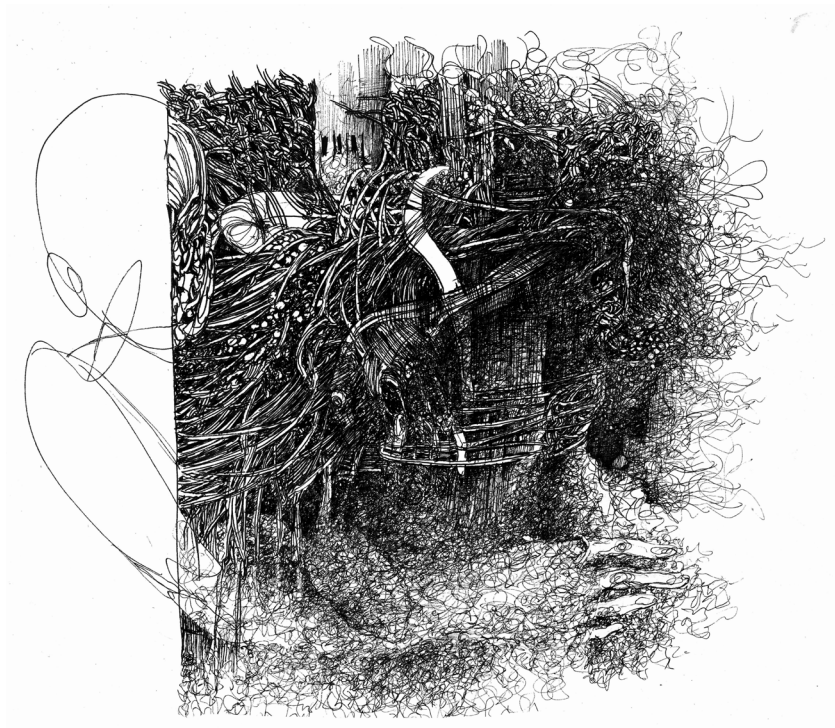


الاستِدْرَاكُ تعويلاً على قُدْرَةِ الْجَهْلِ، المُسْتَدْرِكُ عَارِفٌ
استدراكه، لَكِنَّهُ يَجْهَلُ مَكَانَ، أَيَّانَ، كَيْانَ، صِدُورَتِهِ.
المُسْتَدْرِكُ خَلِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ؛ مع ذلك، أَيَّ خَلِيَّةٍ، في مِنْقَارِ فَرْخِ
الطَّائِرِ، خَلِيَّةٌ انْقِلَابِيَّةٌ، تُقَرَّرُ، خَلِيَّةٌ جُزْءٌ مِنَ التَّنْفِيذِ، جُزْءٌ
مِنَ التَّقْرِ، هذه الْمُتَعَةُ الغَامِضَةُ؛ مِنْقَارٌ صَغِيرٌ يَتَدَرَّبُ على
الانْتِحَارِ، يَنْقُرُ يَنْقُرُ مَا نَظَّنُّهُ مِنَ الْخَارِجِ جِدَارَ بَيْضَةٍ،
وَيُوفِنُهُ صَاحِبُهُ، مِنْ حَنَانٍ تِلْكَ الْعَتَمَةُ، حُدُوداً لِلْكَوْنِ،
رُبُوبِيَّةً عَاصِمَةً، قُبَّةَ سَمَاءٍ بُنِيَّةٍ يَتِمَازِلُ فِيهَا الْأُفُقُ، أُفُقٌ
غُضُوبِيٌّ مَهْطُولٌ. يَنْقُرُ الطَّائِرُ كَوْنَهُ، يَنْقُرُ حَرْفِيّاً حُدُودَهُ،
يَنْقُضُ على سَلَامَتِهِ؛ لِأَنَّهُ، إِنْ لَمْ يَخْرُجِ الْآنَ، الْآنَ، يَهْلِكُ
فِي حَنَانِهِ ذَاكَ.

لكن، لماذا يَخْرُجُ؟، مَا الْخُرُوجُ؟، ومن يَكُونُ إن لم يَكُنْ
ذلك المَعْمُوضُ في كَوْنِهِ الرَّطْبُ؟. التَّدَاءُ، فقط التَّدَاءُ، الفَرْخُ
الجاهل ذو المُستدرَكَاتِ مَطْلُوبٌ لصيرورةِ ما، مَطْلُوبٌ
للحَقِّقِ، التَّحْلِيْقِ، الأفقِ المَسْفُوحِ، كَرَمِ التَّدْوِيمِ. المَنْظُورُ
بَاشِقٌ يَدْحَرُ المَاضِي الأَرْضِيَّ. مَطْلُوبٌ لِلطَّلَاقَةِ، وَسَلَامَةِ
ما يَكْنُزُهُ الجَنَاحُ، قُدْرَتُهُ، وَغَيِّ الإِمكَانِ في تَحْوِلِهِ لَضَرُورَةٍ.
الحَتْمِيَّ، الحَتْمِيَّ القَارَّ في التُّخَاعِ. تَنَجُّحُ الخَلِيَّةِ المَعْيَنَةِ، كُلُّ
خَلِيَّةٍ، في صُنْعِ الصيرورة. الجِدَارُ الرَّقِيقُ، يا لِسُمْكِه الأَشَدِّ،
بَدَأَ يَتَضَعُّعُ، الخَلِيَّةُ تُسْتَتَارُ، كُنْ كُنْ كُنْ، تُشَارِكُ في
التَّقْرِ؛ صِرْ صِرْ صِرْ، تُشَارِكُ في الهَدْمِ؛ بُحْ بُحْ بُحْ. يَتَكَشَّفُ
السَّرُّ، إذا السَّمَاءُ انشَقَّتْ، الأفقُ يَرْتَبِخِي، تَهَدَّلَتِ النُّجُومُ،
سَالِ الكَوْنُ قَطْرَةً قَطْرَةً، خَرَجَ مِنْ كَوْنِهِ، في مُنْتَصَفِ

الْكُونُ، السَّمَاءُ الْمُرْهَقَةُ سَمَاءُ الْبَيْضَةِ تَرَكُّعُ، هَا هُوَ الْمِنْقَارُ،
عَلَى رَأْسِهِ نَارُ، تِلْكَ الْخَلِيَّةُ، تِلْكَ الْكُلُّ، الْحَادِي يُخْبِرُ، حَيَاةٌ حَيَاةٌ،
أَرَى حَيَاةً، حَيَاةً. وَيَخْرُجُ مِنْقَارُ وَرْدِي فِي غَفْلَةٍ رَقِيبِي، يَخْرُجُ
حَرْفِيًّا، لَكِنَّهُ يَدْخُلُ حَرْفِيًّا. اسْتَدْرَكَ الطَّائِرُ اسْتَدْرَكَ، عَادَ إِلَى
أَصْلِهِ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بَعْدُ، عَادَ إِلَى الصَّفْرِ، الْبَدَايَةِ الَّتِي
تُوجَدُ دَائِمًا فِي مَا بَعْدُ.

هكذا يَسْتَدْرِكُ الجنينُ صيرورتهُ المُقبِلةَ،
مُسْتَقْبِلاً كُلَّ إمكانيهِ في الجهلِ بِهِ. هكذا
يَسْتَدْرِكُ المُحتَضِرُ صيرورتهُ المُقبِلةَ، مُودِّعاً
كل ما كانهُ في الجهلِ بِهِ، وَجِلاً من جَهِلِهِ
الجديد. الحياةُ خروجٌ، الخروجُ دخولٌ، لا
يوجد لحد. المَوْتُ تَحْقِيقٌ لهذهِ العلاقةِ،
المَوْتُ جُزْءٌ من صيرورةِ الإدراكِ والجهلِ
والاستدراكِ.

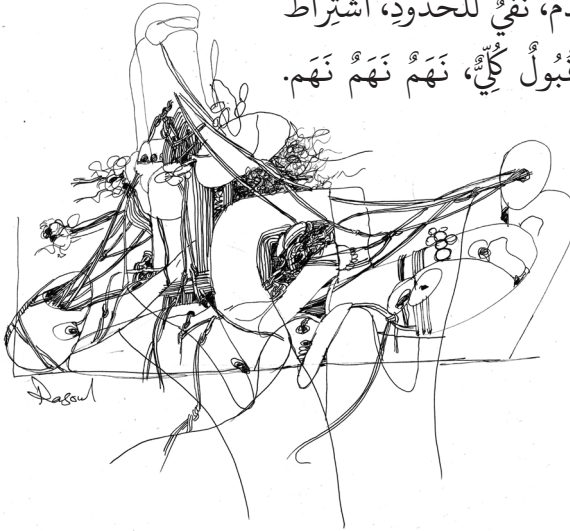


لكن، أين تذهبُ كُلُّ هذه الخِبرة؟
ما هو هذا المُستودعُ المجهول؟

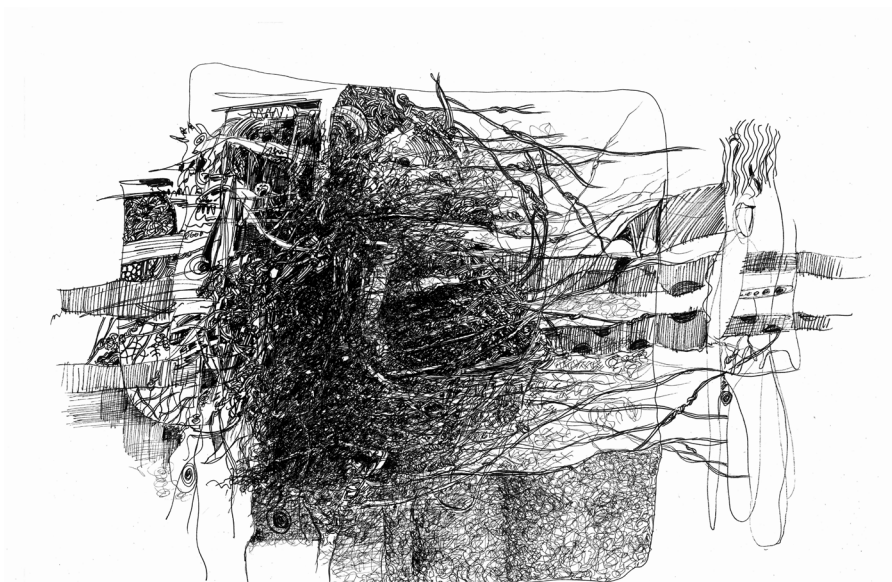
الفِطْرة؟
تولدُ الجُئنةُ وخريطُها في يدها؟

الخِبرةُ لا تذهبُ، الخِبرةُ لا تعرفُ التَمَوُّضَ، الخِبرةُ لا تَسْمَحُ
بالمكان، الخِبرةُ ليست مَنبُوجاً يُخزَّنُ في اللاوعي، الخِبرةُ لا
تَقْبَلُ الخريطة، الخِبرةُ ليست رَصِيداً، الخِبرةُ ليست التَّجربة؛
الخِبرةُ هي الاستِمْرار، القُدرةُ على الاستِمْرار، الاستِمْرار الذي
من شِدَّتِهِ يَسْتَنزِفُ كُلَّ خِبرةٍ وكلَّ تجربةٍ، الخِبرةُ هي الفَناءُ
في الاستمرار، أن يَنسَى الكائنُ أَنَّهُ مُسْتَمِرٌّ، يَنسَى الكَوْنُ

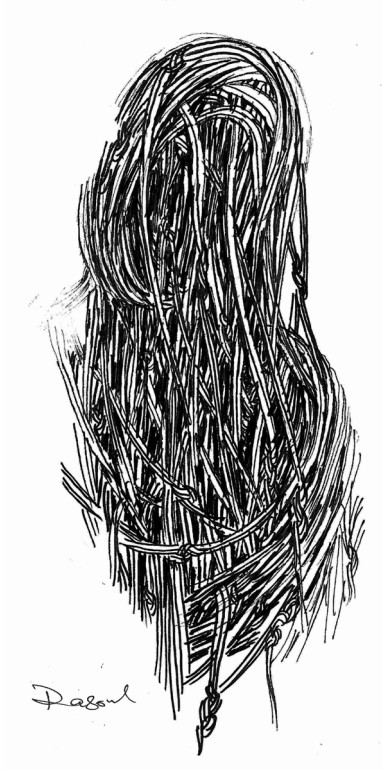
استمرارِيَّتُهُ، استمرارٌ مُسْتَمِرٌّ، اكتساحٌ للثَبَاتِ،
اكتساحٌ لِلْحَدَثِ، تقويضٌ لِلْمَعْنَى، إفقارٌ الْكَثْرِ،
قُوَّةٌ شَرِيهَةٌ تَأْكُلُ الْمُسْتَقْبَلَ وَتَلْدُهُ فِي لَحْظَتِهَا،
انهِمَارٌ فِي الصَّيْرُورَةِ، تَقَدُّمٌ تَقَدُّمٌ تَقَدُّمٌ، نَفْيٌ
لِلاتِّجَاهَاتِ، نَفْيٌ لِلتَّقَدُّمِ، نَفْيٌ لِلْحُدُودِ، اشتراطُ
أَعْمَى، تَحْقُوقٌ أَعْمَى، قُبُولٌ كَلِّيٌّ، نَهَمٌ نَهَمٌ نَهَمٌ.



ليس ثَمَّةَ قَدَرٍ، لكن كَثِيرٌ كَثِيرٌ من المَصَائِرِ، كَثِيرٌ
من التَّعَافِي، كَثِيرٌ من الكَثَرَةِ. يَسْقُطُ شَيْءٌ، لكن كَيْفَ
يَسْقُطُ؟ الأَبْعَادُ انْتَفَتَتْ. حَرَكَةٌ كُليَّةٌ، كُلُّ مَضْمُومٍ، الحَرَكَةُ
تُحَقِّقُ المُمَكِّنَ، والمُمَكِّنُ يُحَقِّقُ الحَرَكَةَ، تَعَاوُذُ خَارِجَ
البُلُوغِ، خَارِجَ الوُصُولِ، خَارِجَ الإِشْبَاعِ، خَارِجَ الجُوعِ
نَفْسِهِ، خَارِجَ الأخْلَاقِ، خَارِجَ الرَّحْمَةِ، وخَارِجَ الإِيْمَانِ.



الاستدراك، في جزءٍ من صيرورته، رَدَّةً، كُفْرَانٌ، ليس بما نَكَصَ عنه
 المُستدركُ من غَفَلَةٍ، بل بما استدركَ من هَوْلٍ. مُنْقَلِباً على ما رآه حَقِيقَتُهُ؛
 يَفِرُّ المُستدركُ منها، فيَسْتَقِرُّ إلى حَوُّلِهِ. لَكِنَّهُ، إِذْ يَتَوَجَّهُ بِقَلْبِهِ كُلِّهِ إلى ما
 احْتَرَقَهُ كحَقِيقَتِهِ، يَكْفُرُ بهذه أيضاً. ليس «لَأَنَّهُ»؛ فَالمُستدركُ لا يَمْلِكُ
 قُدْرَةَ «لَأَنَّ»، كما لا يَمْلِكُ قدرة «ليس». المُستدركُ مَمْلُوكٌ مُنْتَهَبٌ. بل
 لَأَنَّ هذه الحَقِيقَةَ المُنَوَّرَةَ بالوَجْدِ والحرائقِ تَنْقَلِبُ عليه، تَعْصِفُ بهِ،
 تُرْذِيهِ في رَحَابَتِهَا وتَفْتِكُ بَعُثُورِهِ. هذه هي ولادة المُستدركِ التي لم يَعْتَنِقْ.
 في تَضْيِيعِهِ ما يَعْرِفُ في سَبِيلٍ ما لا يَعْرِفُ. في خُسْرَانِهِ إِيْمَانَهُ في سَبِيلٍ
 كُفْرِهِ. لَأَنَّ حَقِيقَتَهُ الجَدِيدَةَ لا تَنْكَشِفُ له دَفْعَةً واحدةً، كما أَنَّهَا لا
 تَتَوَقَّفُ عن التَّحَوُّلِ والانْصِرَارِ والتَّشْتُّتِ، غَيْرَ عَابِثَةٍ بِعُثُورِهِ ولا عُثُورِهِ
 عليها. في غَفَلَتِهِ الجَزَلَةِ يَدْخُلُ المُستدركُ حَقْلَ حَقِيقَتِهِ مُصَدِّقاً بها،
 فَرِحاً بِه، آمِلاً في الشُّكُورِ، وَكَرِيماً بالتَّسْيِيحِ. لَكِنْ ما أَسْرَعَ ما يُغْدِرُ
 بهِ، فهو سَحِيقٌ. ما أَشْهَى اطمئنانه رَطْباً طَيِّباً حِينَ يُؤْكَلُ في مُلْتَهَبٍ



الصَّيْرُورَةَ. أَجْمَلَ بِهِ مِنْ خُذْلَانٍ
يَهْتَفُ الْحَسَفَ الْحَسَفَ. مَا أُنْدَى
قُرُوحَهُ وَهِيَ تَهْذِي الْبَغْتَةَ الْبَغْتَةَ.
يُؤْخَذُ هَذَا التَّائِبُ، وَيُضْرَبُ
بِحَدِيدٍ غِشَاوَتِهِ، إِلَى أَنْ يَرْتَدَّ عَنْ
اسْتِدْرَاكِهِ وَيَكْفُرَ بِهِ. يُؤْتَى بِهِ
مُصَقِّدًا بِخِيَالَاتِ الْأَمَلِ وَسَلْسِلِ
الْفَرَجِ الَّذِي اسْتَبَاحَهُ دُونَ حَقٍّ،
وَيُصْلَبُ فِي الْقُدْرَةِ.

أَوَّلُ مَا يَهْرُبُ مِنْهُ،

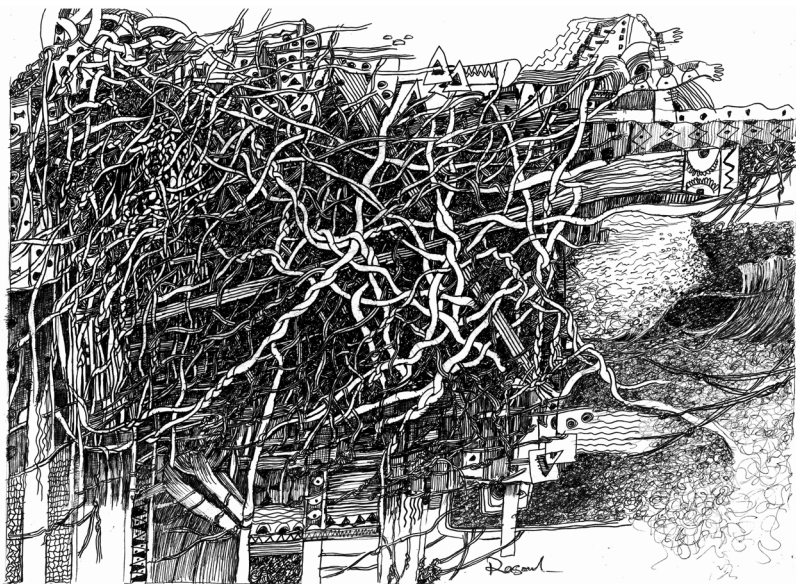
أَوَّلُ مَنْ يَخُونُ،

أَوَّلُ مَنْ يَعْوِي مُسْتَطْلِعاً أَفَقَ الْعَذَابِ الدَّائِي،

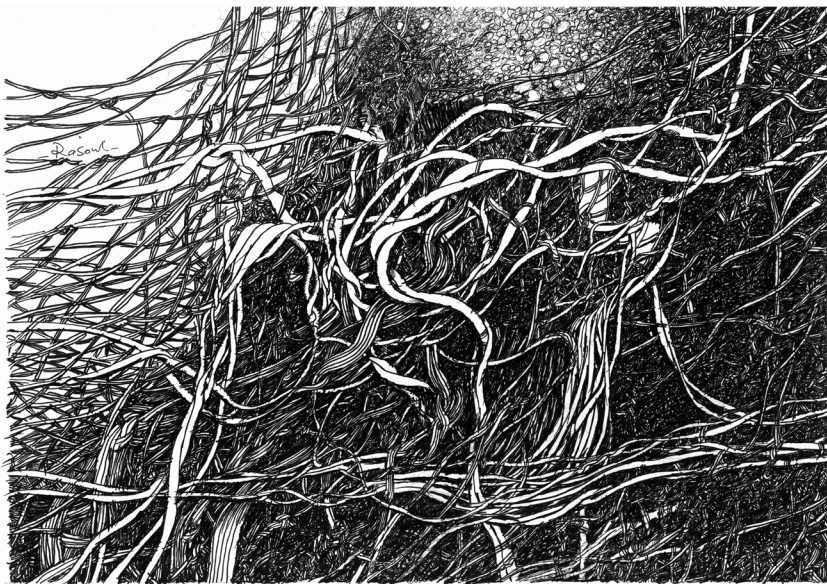
أَوَّلُ مَنْ يَهْلِكُ مِنْهُ؛

أَوْصَالُ يَأْسِهِ.

يُفْتِكُ بِيَأْسِ الْمُسْتَدْرِكِ أَوَّلًا، وَلَا يُمَكِّنُ مِنْ أَمَلِهِ،
فِيُحْرِمُ مِنَ الرُّكُونِ. ثُمَّ تُعْرَضُ عَلَيْهِ اسْتَغَاثَتُهُ الَّتِي
سَيَسْتَغِيثُهَا تَوًّا، تُعْرَضُ عَلَيْهِ تَوَسُّلَاتُهُ وَانْتِحَابَاتُهُ
كُلُّهَا، وَيُبْلَغُ بِكُلِّ انْهِيَارٍ وَكُلِّ ضَعْفَةٍ هُوَ مُسْتَقْبِلُهَا،
ثُمَّ يَقُولُ لَهُ حُرَّاسُهُ: انْظُرْ هَبَاءَكَ؛ كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يُنْجِكَ.



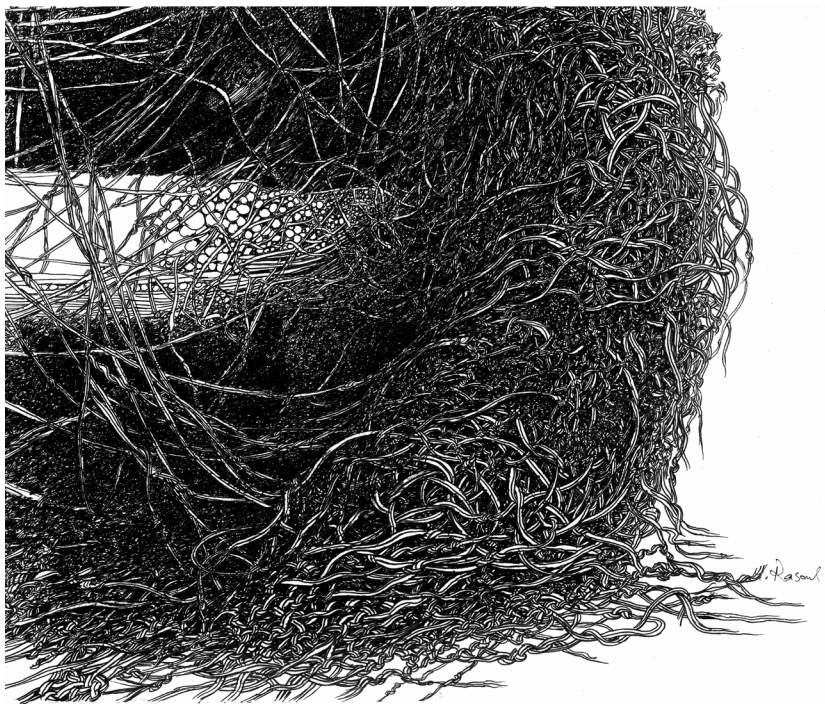
تَتَنَادَى هُرُوبَاتُهُ، تَتَكَاتِفُ لَبَنَاتُهُ عَلَى الْهَجَرِ، وَيُتْرَكُ بِلَا مَصِيرٍ. يَقُولُ
لَهُ لَا مَصِيرُ: أَنَا مِثْلُكَ، مُسْتَدْرِكٌ غَافِلٌ. أَنْتَ هَالِكٌ، وَأَنَا غَيْرُ جَدِيرٍ. يَا
جَاهِلِيَّتِي، هَلْ تَرَانِي أَعْتَنِي بِكَ أَوْ أَزْكِي؟ هَلْ تَرَانِي أَفْرَحُ لِتَوْكِيدِي بِكَ؟
أَنْتَ خُسْرَانِي، لَكِنِّي بِلَا مَقْتَلٍ أُوتِي مِنْهُ وَبِلَا جَوْهَرٍ يُمْتَحَنُ. أَنَا فَقِيرِي يَا
فَقْرَكَ، وَمَا أَعْرِفُ مِنْ عُقُولٍ حِرْمَانِي لَا تُفِيدُكَ، مَعْرِفَتِي لَا زِمَةَ، مَعْنِيَّةٌ
فِي فَقْرِي بِالتَّعْيِينِ، وَلَا تَقُولُ لِي، فَكَيْفَ أَقُولُ لَكَ؟ ثُمَّ يُسْقِطُ بِهِ فِي عُرْيِ
الْإِمَاطَةِ، تَقُولُ لَهُ: لَيْتَكَ أَبْقَيْتَ عَلَى شَيْءٍ؛ لَكُنَّا وَجَدْنَا ثَقْبًا يَحْمِيكَ مِنْ
تَنْفُسِ الْقَلَكِ. انْظُرْ انْظُرْ؛ هَذَا السَّيِّدُ فَرَأَيْصُكَ، انْظُرْ مَا كَانَ جَفْنِيكَ
وَصَارَ مِنَ الْعَذَابِ رَبًّا فَاجِرًا. تَنْسَلِخُ مِنْكَ كُلُّ عَزِيمَةٍ، وَيُخْتَرَقُ نَدْمُكَ
فَلَا يَعُودُ مِلْكُكَ. هَذَا هُوَ التَّجْرِيدُ.



يُجَرِّدُ

المُسْتَدْرِكُ

مِنْ احْتِطَابِهِ، مَحْزُونِ رُوحِيَّتِهِ، لَا غَلَّةَ
لَا غِلَالَةَ، تُنْهَبُ حَوَاسِيَّتُهُ، يُسْتَبَاحُ شَغْفُهُ،
وَلَا يُتْرَكُ مِنْهُ شَيْءٌ. حِينَهَا، فِي سَمْتِ عَدَمِهِ،
أَسِيرًا مَنْسِيًّا فِي الضَّرَوَاتِ، بَلَا حَوْلٍ يَحُولُ فِيهِ
وَلَا قُوَّةَ تُقِيمُهُ، يَدْخُلُ إِلَى فَقْرِهِ الْكُلِّيِّ،
وَيَتَنَظَّرَانِ إِلَى أَنْ يَفْتَى كُلُّ مِنْهُمَا
فِي الْآخِرِ.



ثُمَّ رَبَّمَا.
الترجيحُ طفلاً.
«ثُمَّ» جَرِيْمَةٌ.
الرَّزْمَنُ جَرِيْمَةٌ.
«رَبَّمَا» بُهْتَانٌ.

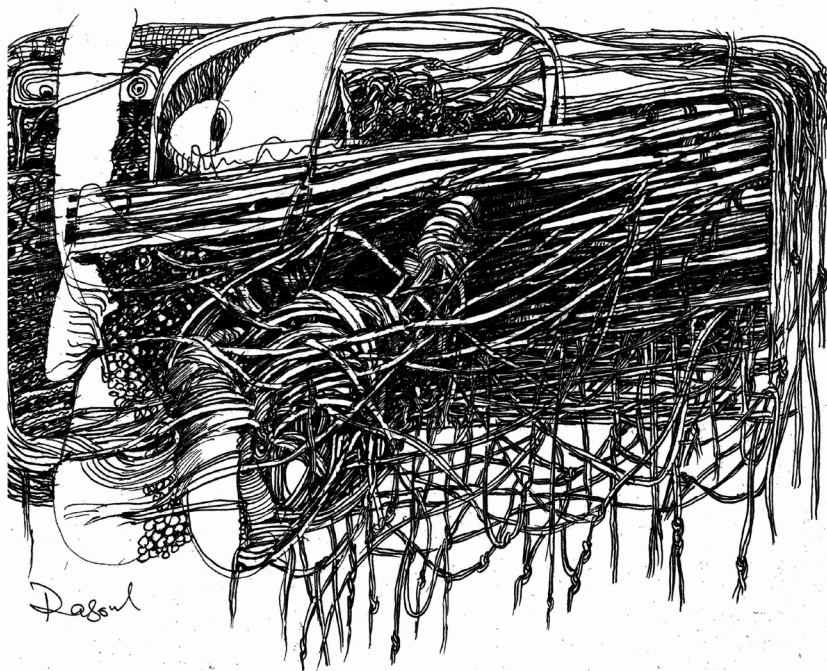
يَتَحَقَّقُ قَانُونُ الصَّيْرُورَةِ، بِلَا وَجَلٍ وَبِلَا عُجَالَةٍ. يَأْخُذُ، بِلَا أَثَرٍ مِنْ شَفَقَةٍ
وَلَا اهْتِمَامٍ، ذَلِكَ الصَّفَرَ الْعَظِيمَ، تِلْكَ الْكَثَافَةَ الْمُفْرَغَةَ، ذَلِكَ الْجَهْلَ
الْأَصْلِيَّ، ذَلِكَ الطَّرُوبَ، مُودِعاً فِيهِ كُنْهَ الْمَعْرِفَةِ الْأَصْلِيَّةِ، وَيَنْظُرُهُ.

هِيَ نَظْرَةٌ، نَظْرَةٌ وَاحِدَةٌ، نَظْرَةُ الْكَوْنِ.

نَظْرَةٌ لَا يَنْظُرُهَا الْعَطَاءُ لِلْمِسْكِينِ، وَلَا يُحْسِنُهَا الْخَالِقُ فِي خَلْقِهِ. نَظْرَةٌ لَا تُقْبَلُ وَلَا تُهْدَى. نَظْرَةُ النِّدِّ إِلَى النِّدِّ. نَظْرَةُ الْمُسْتَحِقِّ إِلَى الْحَقِّ. نَظْرَةُ الْبَغْتَةِ إِلَى الْمَأْخُوذِ. نَظْرَةُ الْاِتِّسَاعِ إِلَى الرَّحْبِ.

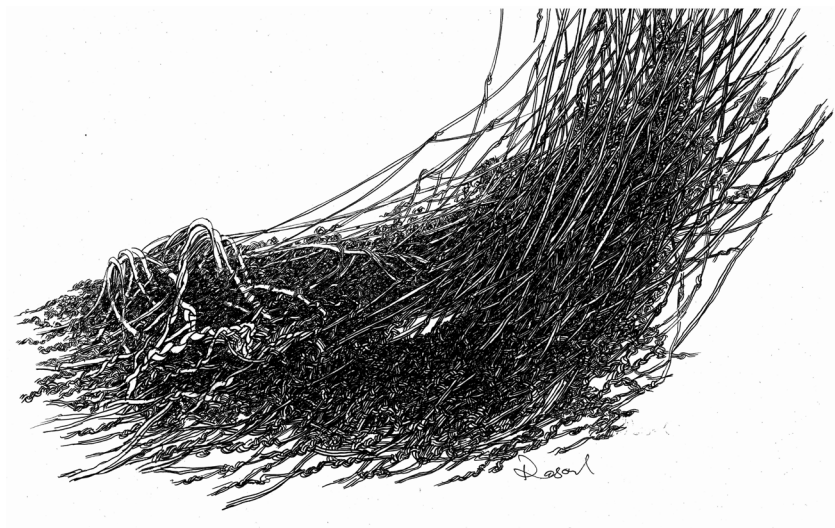
هِيَ نَظْرَةٌ، تُطْلِقُ سَرَاحَ الصَّيْرُورَةِ وَلَا تَمْلِكُهَا. يَنْتَفِي الْعَدْلُ، وَالْإِحْسَانُ يَتَقَوَّضُ. يَأْخُذُ الْمُنْصَرِّمُ مَجْرَاهُ. فِي حَرْبِ الْمُطْلَقِ؛ حَيْثُ لَا غَنَائِمَ وَلَا ضَحَايَا، يَسْتَوِي الْأَتُونُ. الصَّيْرُورَةُ أَكْلٌ. الصَّيْرُورَةُ تَنْزِيهِ.



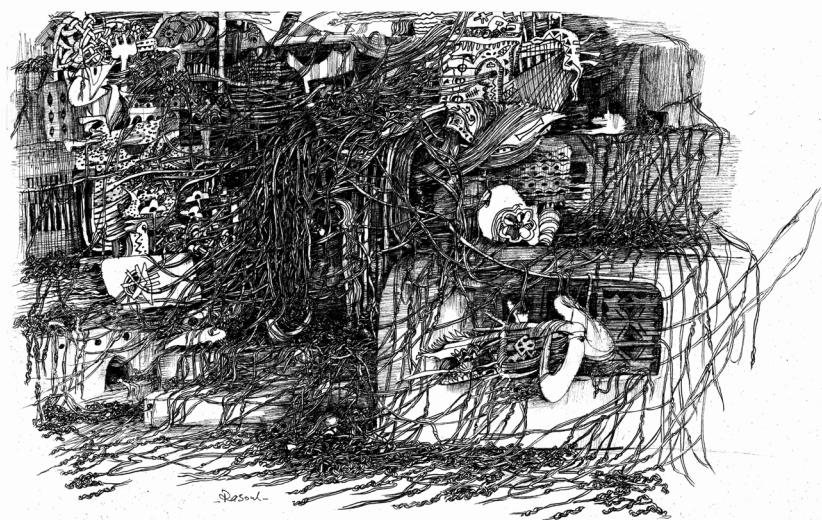


الاستِدراكُ، كما أَسْلَفَ لِمَصِيرِ، مَوْضِعِ الحِرْمَانِ.
فِي هَرَقِهِ وَجُودِهِ، تَحْتَ عَصَلَةِ الحَقِيقَةِ، يَعْرِفُ
المُسْتَدْرِكُ أَنَّ المَسَافَةَ بَيْنَهُ وَذَاتِيَّتِهِ، أَيْ حِرْمَانِهِ،
صَرُورَتُهُ الْأَصِيلَةُ. لِأَنَّ المُسْتَدْرِكَ مَهْضُورٌ بَيْنَ صِفَرِهِ
الْأُمِّ وَإِشْرَاقَاتِهِ الْأُمِّ، مُحْتَدِمًا فِيهِمَا احْتِدَامَ الْعَمَى فِي
البَصِيرَةِ، يَسْتَشْعِرُ عَلَيْهِ الانْسِلَاحَ مِنْ عَيْنِهِ، وَالرَّكْضَ
فِي مَدَى قَبْلِ-نَظَرَتِهِ حَتَّى تَحْصَلَ تِلْكَ النَّظَرَةُ. لِأَنَّ
النَّظَرَةَ تَقْتَضِي الوَصْلَ وَالوَصْلَ الهَرَبَ، وَالْأَلَا، فَهُوَ
التَّحَامُّ فِي المَوْصُولِ يَنْتَفِي مَعَهُ مَطْلُوبُ النَّظَرَةِ.

يَنْسَلِخُ الْمُسْتَدْرِكُ وَالِدًا رَحِمَ إِدْرَاكِهِ، مُمَهِّدًا جِذْعَهُ،
وَاضِعًا حِرَابَهُ فِي لَامْتَنَاولٍ، يُهَيِّئُ صِفْرَهُ لِلْعَطَبِ.
عِنْدَمَا يَحْصُلُ عَلَى مَسَافَتِهِ، وَيُقِيمُ أَرْكَانَ حِرْمَانِهِ،
يَضْرِبُ الْمُسْتَدْرِكُ نَظْرَتَهُ فِيهِ، وَيَسْمَحُ بِالرَّيْحِ
وَالزَّلَازِلِ، كَمَا يَسْمَحُ بِالْغَفْلَةِ، اللَّمَّسَانِ، التَّدْلِيلِ
وَالْإِسْلَامِ. هَكَذَا يَغْتَرِبُ عَنْ سَلَامَتِهِ كِي يَنَالَهَا. زَاهِدًا
لَا أَحْرَصَ مِنْهُ، كُلَّمَا أَوْغَلَ فِي صَيْرُورَتِهِ الْجَدِيدَةِ
شَسَعَتْ طَوَيِّئَتُهُ وَابْتَعَدَ عَنْ حَرَمِ ذَاتِهِ.



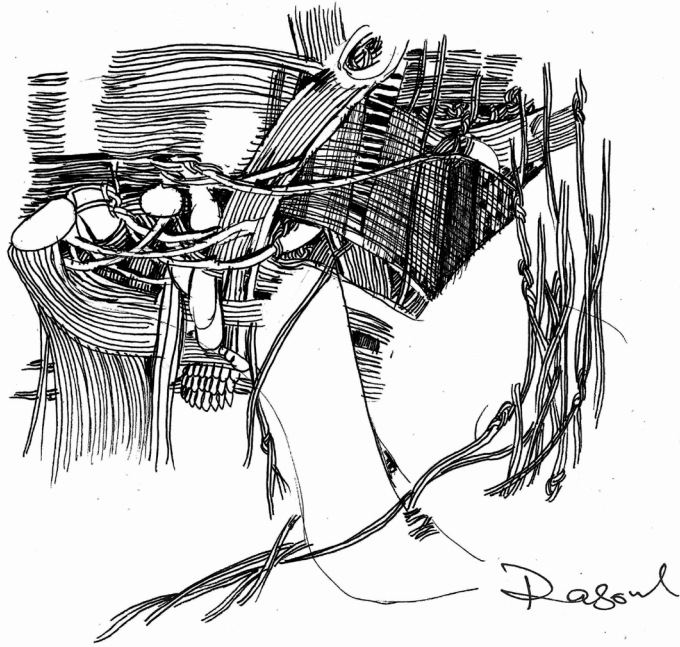
المُسْتَدْرِكُ فَطِيم. هذا الْفَصَالُ مِنْ أَصْلِ الثُّمُو، ففي
المسافة بين حقيقته وذاته يَنْضَحُ الْمُسْتَدْرِكُ مَوَاعِينَهُ،
وَيَنْشَغِلُ بِالْمَوَرَانِ وَبِالْأَبْنِيَّةِ. وفي شُغْلِهِ ذَاكَ لَا يَبْرَحُ
حِرْمَانَهُ قَيْدَ أُنْمَلَةٍ، بَلْ يَتَأَبَّنُهُ مِنْ دَاخِلِهِ تَأَبَّنَ الْجَنِينِ
صَوْتُ أُمِّهِ. وَيَتَحَرَّكُ فِي حِرْمَانِهِ بِالْحَقِّ، حَقَانِيَّةَ النُّطْفَةِ
فِي مَرَايِ الرَّحِمِ، حَيْثُ يَرْعَاهُ، وَيُعَدِّيهِ بِالْأَسْرَارِ،
وَيَمْنَحُهُ الْفَرْعَ الْلازِمَ. يَسْرِي الْمُسْتَدْرِكُ فِي ذَاتِهِ،
يَنْشَغِلُ فِيهَا، يَتَحَجَّجُ بِعُلُومِهَا، وَيَقْتَرِعُ ضَلَالَاتِهَا.
لَكِنْ، مَتَى اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ شَهَادَتُهُ، وَاسْتَحْكَمَتْ
حِكْمَتُهُ، فَرَعَ إِلَى مَسَافَتِهِ تِلْكَ، فَرَعَ إِلَى حِرْمَانِهِ الْأُمِّ،
طَالِبًا الْعَمَرَ.



الْحَرَمَانُ هُوَ الْحَجُّ، هُوَ الْحَجِيجُ، وَكَعْبَةُ النَّظَرِ. لَيْسَ ثَمَّةَ نَارٍ وَلَا جَنَّةٍ أَكْمَلَ مِنْ نِيرَانِهِ وَجَنَانِهِ. يَعْتَوِرُ الْحَرَمَانُ الشَّيْءَ، يَصْهَرُهُ، وَيَخْرُجُ بِهِ كَنْزاً لِقُشُورِهِ، وَلُبُّهُ مَسَالِكُ فِي الْمُدَّخَرِ. وَيُغَادِرُ الْحَرَمَانُ الْكِيَانَ، الْكِيَانَ الرَّاضِي بِنَظَرِيهِ السَّائِكَةِ، مُهْرِوْلاً مِنْ شُبْهَةِ الْأَمْنِ؛ طَاعُونَ طَاعُونَ، يَفِرُّ مِنْ نِعْمَةِ الْمُطْمَئِنِّ.

أَنْ تُحْرَمَ مِنَ الشَّيْءِ: أَنْ تَحُوزَهُ إِلَى الْأَبَدِ.

يُعْذِّي الْحَرَمَانُ الْحَاجَةَ، وَيَضْمَنُ، مَتَى أَهَلَّتْ، قِيَامَاتِهَا وَصَوَرَهَا الْجَدِيدَةَ. لِأَنَّ الْحَرَمَانَ أَخَذَهَا مِنَ الضَّرُورِيِّ إِلَى مَجْمَرَةِ الضَّرُورَةِ، مُسْبِعاً عَلَيْهَا مَصِيرَهَا وَكُلَّ مَا تَفَلَّتَتْ مِنْهُ فِي عَدَمِ التَّلْبِيَةِ. تَتَحَوَّلُ الْحَاجَةُ مِنْ مَطْلُوبٍ إِلَى مُطَالِبٍ، تَتَرَقَّقُ فِي الْإِلْحَاحِ، وَتَأْخُذُ، مِنَ التَّهَافُتِ، بِقُوَّةِ الْوَجْدِ، أَضْعَافَ مَا صَنَّتْ بِهِ فِي قُوَّةِ الْمَنْعِ.

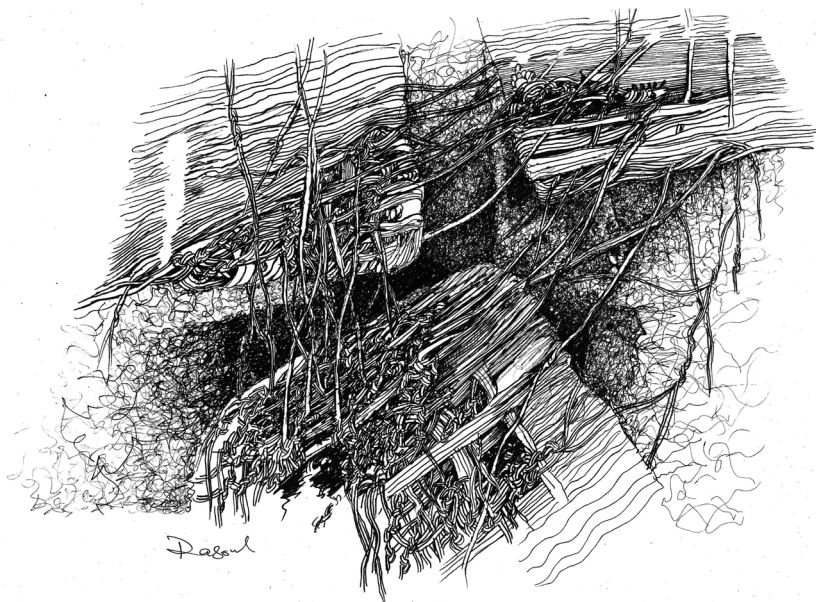


يَظُنُّ الْمُسْتَدْرِكُ، بِعُثُورِهِ عَلَى لَقِيَّتِهِ، أَنَّهُ
كَانَ أَضَاعَهَا، وَأَنَّ عُثُورَهُ أَبْدَلَ فَقْرَهُ غِنًى.

والحاصل أَنَّ المُستدركَ لم يَفْقِدْ من كنزِهِ التَّكْتِخَ، ولم يُغَادِرْ
ضُلُوعَهُ في تربيَتِهِ والانهمارِ فيه. لكنَّهُ يُؤْخَذُ بِعِزَّةِ التَّربيَةِ حتى
يَصِيرَ مَوْضُوعَهَا. يَشْتَغِلُ الكَنْزُ على طَوِيَّةِ صَاحِبِهِ، يَجْتَرَحُ فيها،
يُغَيِّرُ عليها، وَيَتَنَاوَبُهَا مع الكَلَلِ والإِنْهَاقِ، مُتَحِنًا اليَقِينَ في
عِزَّتِهِ والكَلِيمِ في كَلِمَتِهِ. في تلكِ التَّربيَةِ يَتَغَيَّرُ المَكْنُوزُ، وَيَتَغَيَّرُ
الْكَنَازُ، وَيَنْصَرِفُ كُلُّ إلى جَنَّتِهِ؛ فُجُورِهِ في عَيْنِ صَاحِبِهِ. في
هذه المُفَارَقَةِ المُنْهَمِرَةِ، تُشْحَذُ الحَوَاسُّ، تَشْتَغِلُ الرِّثَّةُ بالْعُلُومِ،
يَتَقَطَّرُ الأَصِيلُ في أَصَالَتِهِ، وَيُجَاهِدُ ما دُونَ ذلكِ في خَلْقِ ما
يَجْعَلُهُ أَصِيلًا. في هذهِ المُتَّقِ عَلَيْهَا، هذهِ الغَيْمَةِ الظَّنِّيَّةِ، هذهِ
النَّكِيَّةِ في العَدْلِ وفي الصَّحِيحِ، يَتَعَاظَمُ الفُجُورُ في المُعَالَبَةِ،

يَسْتَوْحِشُ مَا دَامَ مِنَ الْوَحْشِ، يَنْأَى، يَتَفَرَّطُ، يَنْفَرِطُ، يَلْتَهَبُ،
وَيَلْتَأَعُ. لَكِنْ كُلُّ تِلْكَ مُعَاوَنَةٌ. كُلُّ ذَلِكَ شُمُولٌ. يَدْخُلُ فِي
الْكَنْزِ تَجَدُّدُهُ مِنْ ذَاتِ الْقَنَاصِ، يَدْخُلُ فِي الْكَنْزِ تَهْيِئُهُ مِنْ
ذَاتِ الْمَقْتَلِ. لَا يَسْتَجِيبُ الْكَنْزُ إِلَّا لِصَرْخَةِ الْيَأْسِ فِيهِ، لَا
يَهْتَمُّ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَّا لِإِدْمَاعِ كُفْرِهِ، لَا يَتَوَافَدُ الْكَنْزُ عَلَى كَانِزِهِ
إِلَّا وَهْدْيَانُهُ فِي يَدِهِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرَّاحِ، وَجَدْتُني وَجَدْتُني. عِنْدَهَا
يَسْتَرِدُّ مَا أَعْدَقَهُ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ، خَلَقًا جَدِيدًا، مُنْمَنَاتٍ

السَّحِيق، تَقُول تَقُول، كَلِمَاتٌ تُؤَلِّوْ، العُمَرَانُ وَالْمِنْسَاءُ
وَالْقُنُوط، الْمُكْتَحِلُ وَالْمَحْرُوم، الدَّوْلَةُ وَالْإِدَالَةُ، الْعُثُورُ
وَالْمَعْثُور. فِي عَمْرَةَ الْاِسْتِدْرَاكِ يَلْتَفِتَانِ إِلَى جُثَّةِ الطَّوِيَّةِ، أَرْضِ
الْمَعْرَكَةِ؛ أَضَابِيرَ لَحْمِيَّةٍ، الْمُكْتَسِحَاتِ الْمُؤَرَشَفَةِ، مُكَاتَّبَاتِ
شُؤْنِ الْأُسْرِ، الْحَدَقَةِ الْمَنْهَوْبَةِ، الْمَنْكِبِ أُرْتَالًا أُرْتَالًا،
النُّكُوصِ وَالْمَنْ وَالْأَذَى، مَخْلُوقَاتِ الْوَيْلِ الصَّدِيقِ، الْحَدَقَةِ
الْمَنْهَوْبَةِ، الْحَدَقَةِ.

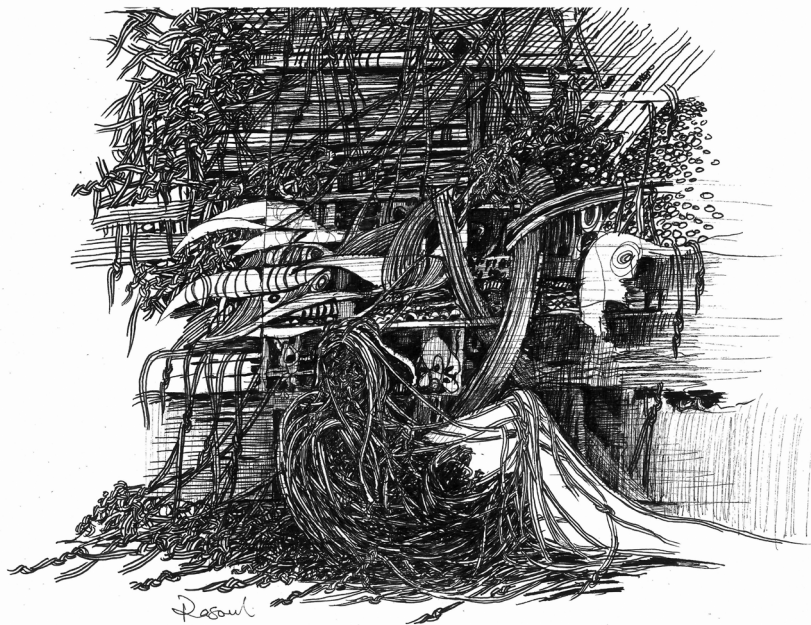




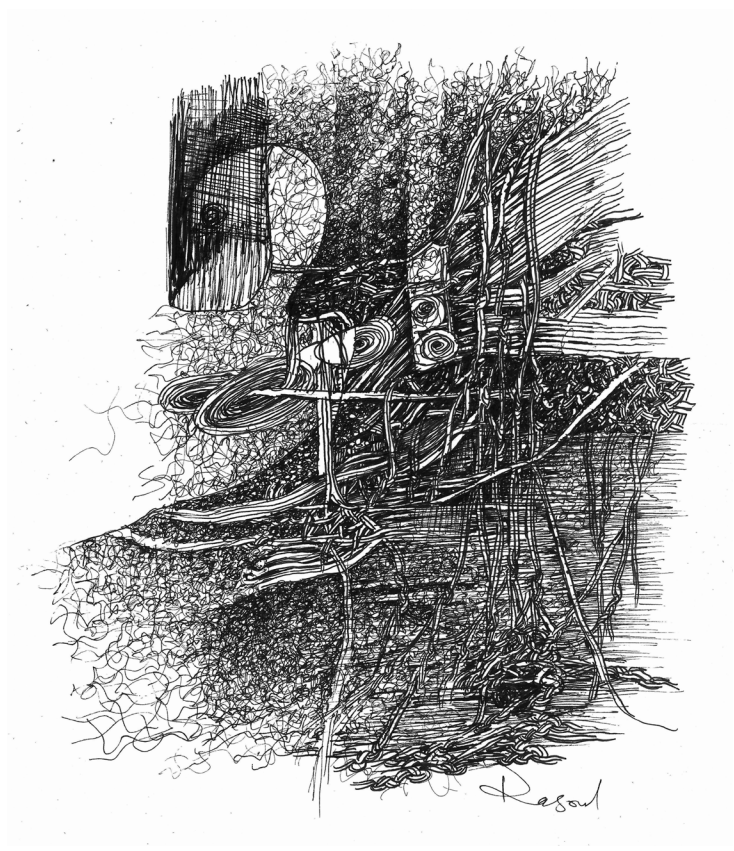
المُسْتَدْرِكُ تَحْلِيدُهُ حُزْنِيَّتُهُ. مع تَقْلُبِهِ في الْأَحْوَالِ وَالْأَجَالِ،
يَحْتَفِظُ في قِطْعَةٍ من سَحِيقِهِ بِحُزْنِهِ الْأَوَّلِ. حَتَّى في تَغْيِيهِ
الْأَمَلِ لَا يَقْنُطُ ضُحَى مَسَرَّاتِهِ الْحُزْنِيَّةِ، عَارِفًا الْأَمَلَ هُوَ
التَّغْيِي بِهِ، دُوبَائِي فَاقِعٌ يَسْتَلِدُّ. المُسْتَدْرِكُ في تَعْلِيَةِ مُسْتَمِرَّةٍ،
فهو حزينٌ، يَتَنَاوَشُ كَلِمَتَهُ وَيُخَوِّنُهَا، في مُكُوسِهِ تِلْكَ، الَّتِي
يَسْتَجْلِبُهَا من ذَاتِهِ وَيَهْرُفُهَا فِيهَا، يَدْفَعُ بِالتَّنَافُضِ؛ مُنْتَحِلًا
أَصَالَتَهُ وَمُتَأَصِّلًا في التَّحُلِّ. مُتَأَصِّلًا بِحَيْثُ لَا يَنْطَوِي
إِلَّا على الطَّارِئِ وَالْمُنْتَهَاكِ الْمَسْرُورِ. إِنَّهُ يَنْمُو، يَنْمُو قَبْلَ
الْفَرَاغِ الَّذِي يَحْوِيهِ، وفي ذَلِكَ يَدْحَضُ نُمُوهُ لِيَسْمَحَ بِذَلِكَ
الْفَرَاغِ؛ المُسْتَدْرِكُ شَهْوَةٌ بَاقِيَةٌ لِلْمَحْوِ. إِنَّهُ فَرَاغُهُ، وفي
مَحْوِهِ ذَاتِهِ يَتَنَفَّسُ الْمَوَاضِيْعَ الَّتِي تَتَنَاضَرُ مِنْهُ. كَمَ جَدِيدَةً،

كَمْ نُشَارُهُ الْحِقَّةَ، كَمْ فَقَاقِعُ الْحِكْمَةِ الَّتِي جَلَدَتْهُ الْآنَ،
فَقَاقِعُ وَلَا أَجْمَل. يَسْبَحُ الْمُتَشَطِّي فِي شَطِيطَتِهِ، يَتَجَدَّدُ فِي
التَّفَاصِيلِ، يَتَهَارَبُ فِي تَحْمُجَاتِ نَجْمِيَّةٍ، مِنْ جَسَدِهِ يَسْتَوْلِدُ
العَفْنَ الَّذِي مُدَّعِيَا النُّبُوَّةِ يَدْخُلُ فِي نِيرْقَانَا التَّرْيَاقِ، وَيَتَسَمَّمُ
فِيهِ. هَذِهِ أَعْضَاءُ هَرَبَتْ، كَيْفَ اللَّحَاقُ بِهَا، كَيْفَ يَعُثُّ
عَلَيْهَا كَيْفَ يُخْضِعُهَا، لَكِنَّ الْأَعْضَاءَ التَّحَاقُّكَ الْهَرَبِ.
تَارِكًا فَرَاغَكَ الْمُقِيمِ، مُشْتَعَلًا فِي فَرَاغٍ آخَرَ. أَيْ مُنْقَلَبٍ
يَنْقَلِبُونَ، لَا يُهَمُّ، لَا يَنْسَى الْمُسْتَدْرِكُ هَوَامِشَهُ، السُّهُوبُ
يَتَشَارَحُ فِيهَا وَدَائِهِ، وَيُنَاقِضُ فِيهَا مَجْلَدِهِ مَا يَكْتُبُهُ بِمَجْلَدِهِ.
الْهَوَامِشُ مُحَادَعَةٌ، مِثْلُ كُلِّ سَلْحَفَةٍ تَحْمِلُ زَنَانَةً عَظْمِيَّةً
عَلَى ظَهْرِ لَحْمِهَا الْحَرِّ. الْهَوَامِشُ تَبْرِيحٌ، لِأَنَّهَا الْفَتْكُ. يَقِفُ

الهَامِشُ مُتَخَفِيًّا مِثْلَ ثَوْرِ أَهْوَجَ فِي كَلِمَةٍ، حَرْفٍ، هِلَالٍ،
مَهِيضٍ، مَنَبَعٍ. حِينَ يَتَقَاعَسُ المَتْنُ، غَفْلَةً مَقْصُودَةً،
يَتَهَرَّجُ الهَامِشُ وَيَتَمَرَّجُ. يَا لِلْفَضِيحَةِ!، المُسْتَدْرِكُ كَامِلٌ،
مَرِيضٌ يَتَدَاوَى مِنَ الصَّحَّةِ، صَحِيحٌ يَتَهَدَّلُ فِي المَغْصِ.
المُسْتَدْرِكُ مُتَفَرِّعٌ، مَفْرُوعٌ، مُفَرَّعٌ بِالفُرُوعِ، مُتَوَلِّدٌ فِيهَا،
تَعْرِيشَةٌ مِنَ العَضَلَاتِ المَكْشُوفَةِ، تَعْرِيشَةٌ مِنَ العِصْمَةِ.
البَلُومُ فِي فَرْعُو عَنَى، الْأَزْلُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.



ها هي كَلِمَةٌ لِلتَّوَّ. كَلِمَةٌ سَحَرِيَّةٌ لَا تَدُلُّ.
فَارَعَةٌ. كَلِمَةٌ لِلدَّحْضِ، بَلَا مُسَمًى،
بَلَا مِفْتَاحٍ، بَلَا صَوْتٍ. كَلِمَةٌ عَاتِقُ.
لَا تَمْنَحُ ذَاتَهَا، غَفَلَاتٍ، بَلْ تَرَشَّحُ فِي
فَقْرِهَا، وَتَفِيضُ فِيهَا. إِنَّهَا اللُّغَةُ، إِنَّهَا
اللَّحْنُ، هِيَ الْحَنْجَرَةُ، بَلْ رِثَّةُ الْحَنْجَرَةِ.



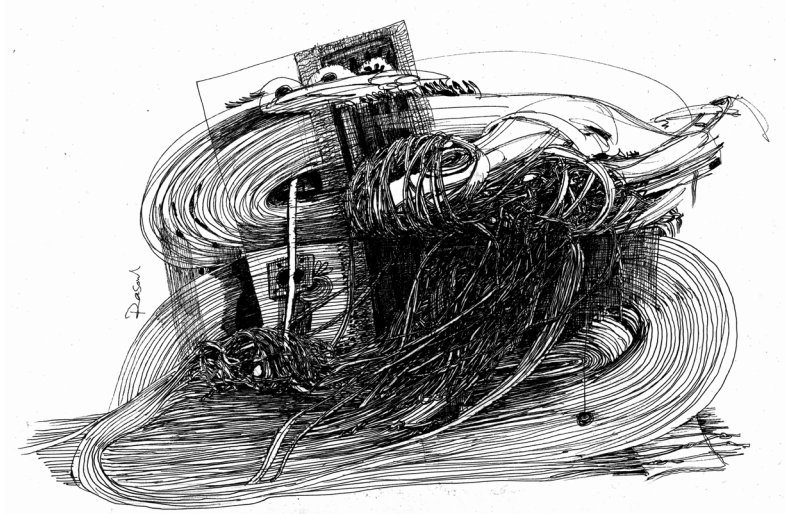
كَلِمَةً لِحَيَاةِ الْكَلَامِ، فِيهَا يَتَبَدَّد. تَمَائَلْتُ فِي اسْتِدْرَاكِ الْحُزْنِ،
وَاسْتَأْذَنْتْ هَدْمَهَا، أَيُّ نَعَم خَلِيلُ إِسْمَاعِيلِينَ، أَيُّ نَعَم الْمَسْمُومُ
الْمَطِيرُ فِي فَيْتِنَامِ صَوْتِهِ. بَعْضُ الْأَغَانِي اسْتِعْذَابٌ، بَعْضُهَا عَذَابٌ،
لَكِنَّ أَبْقَاهَا الْهَادِمَةُ. النَّاقِضَةُ الْعَازِلَةُ النَّاقِضَةُ الْهَادِمَةُ. يَشْرَعُ
أَبَوْقَطَاطِي فِي الْبُنْيَانِ، نَاجِي وَالبَنَّاوُونَ يَعْرِفُونَ تِلْكَ الْاِخْتِلَاجَةَ.
طِينَةُ الْأَمَانِي الْعَذْبَةِ تَحْتَ تَهْدُجَاتِ الْعَوِيشِ، يُنَاشِدُهَا رَبُّهَا،
يُنَاشِدُهَا شَاعِرُهَا، يُنَاشِدُهَا الطُّلُبُ الْأَفْنَانِ، يُنَاشِدُهَا الْخَلِيلُ فِي
جَلَدِ الْعَارِفِ تَضْيِيعِهَا. الْأَمَانِي الْعَذْبَةُ، الْعَزِيزَةُ، الْعَزْبَاءُ، الْعَاوِيَةُ.
خَارِجُ الْقُدْرَةِ. وَكَيْفَ يَنَالُهَا وَهِيَ مَنْزِلَةٌ مِنْ مَنَازِلِ حِرْمَانِهِ إِيَّاهَا.
إِنَّهُ الْاسْتِدْرَاكُ، اسْتِدْرَاكُ الطِّفْلِ. الْأَمَانِي الْعَذْبَةُ تَتَرَاقَصُ حَيَالِي،
يَا صَوْتِكَ يَحُونُ، يَا يَكْفُرُ بِالْوَعْدِ. صَوْتُكَ مَعْدُورًا، مُنْقَى بِالْهَوْلِ،
يَتَغَيَّي السَّعَادَةَ لِيَفْتِكَ بِهَا: هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَتَحَمَّلُ. يَتَوَرَّطُ

الطُّلَبَةُ فِي مَعْمَعَةِ التَّعْوِيلِ، بُكْرَةَ يَا قَلْبِي، لَعَلَّ الْحَيَاةَ لَعَلَّهَا، يَتَذَوَّقُ
يَحِيلَتِهِ النَّازِعَةَ لِلنَّقَاءِ شَهَقَةَ الْعَدْلِ. لَكِنْ، آه يَا خَلِيلِي، مَا أَسْرَعَ
مَا تَسْتَدْرِكُ. يَسْتَدْرِكُ يَسْتَدْرِكُ، بِصَوْتِهِ الْمَخْضِ، يَتَغَرَّسُ فِي الْأَلَمِ.
يَنْفَجِرُ خَلِيلُ الْحُزَنِ، يَحْرُثُ قَلْبِيَّتَهُ، كُلُّ ذَلِكَ يَقَعُ فِيمَا يُحْيِلُ لِلْسَامِعِ
أَنْ شَاتِلًا لِلْحُبُورِ يَسْعَى. الْأَمَانِي الْعَذْبَةُ، يَا سَلَامَ غُنْيَةِ ظَرِيفَةٍ. أَلَمْ
تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ يَسْتَدْرِكُ طَيْبَتَهُ الْمَسْقِيَّةَ بِالْعَذَابِ، ثُمَّ يَكْفُرُ
يَكْفُرُ بِالْأَمَلِ: الْأَمَانِي الْعَذْبَةُ تَتَرَاقَصُ؛ لَا أُصَدِّقُهَا لَا أُصَدِّقُهَا،
يَقُولُ صَوْتُكَ. حَيَالِي حَيَالِي حَيَالِي، هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ ابْنُ آوَى، هَذِهِ
هِيَ مَسْطَرِيقُ الْبَرْقِ، الْهَامِشُ اللَّعِينُ، حَيَالِي أَيُّ الْمَسَافَةِ، حَيَالِي أَوْ
أَشَدُّ قَسْوَةٍ، حَيَالِي أَيُّ مَسَرَى أَمَلِي، وَالْأَمَلُ لَا يَحْزُزُ لَا يَتَّصِلُ. حَيَالِي
أَيُّ حِرْمَانِي. الْأَمَانِي الْعَذْبَةُ تَتَرَاقَصُ حِرْمَانِي. حُلْمِي بُكْرَةَ، لَيْسَ
ثَمَّةَ بُكْرَةَ، يَقُولُ صَوْتُكَ. بُكْرَةَ تَتَحَقَّقُ أَمَانِي، وَالْفُؤَادُ يَرْتَاحُ

[illegible]



المُستدركُ أُمِّيٌّ، على كَفَافِ الإِشَارَةِ، غيرُ مَعْنِيٍّ بالإِفْصَاحِ. في هذه الحُرِيَّةِ
يَقْتَنِصُ اللُّغَةَ اقْتِنَاصَهُ الْهَوَامُّ، والأَعْضَاءُ تَتَنَاهَدُ فِي يَدِ قُدْرَتِهِ، يَتَصَفَّحُهَا
فِي غَرَابَةٍ لَا يُقَايِضُهَا إِلَّا نِسْيَانُهُ إِيَّاهَا. كُلُّ مُفْرَدَةٍ طَائِرٍ، طَائِرٌ مُنْفَرِدٌ، كُلُّ
طَائِرٍ مُفْرَدَةٍ، مُفْرَدَةٌ تَطِيرُ. فِي تَحْدِيقِهِ الْأُمِّيِّ لَا يَرَى السَّرْبَ، بَلْ حَرَكَةَ
السَّرْبِ، وَلَكِنْ إِذْ يُحَدِّقُ يَفْقِدُ السَّرْبَ وَالْحَرَكَةَ وَيَرَى الْجَنَاحَ، فَقَطْ
الْجَنَاحَ. الْجَنَاحُ الَّذِي جُزْءٌ مِنَ الْفَضَاءِ، الْجَنَاحُ الَّذِي يَطْوِي وَيَنْطَوِي،
الْجَنَاحُ الَّذِي يَحْجُبُ الطَّائِرَ، يَحْجُبُ الطَّيْرَانَ، يَحْجُبُ الْفَضَاءَ، وَيَتَنَاسَلُ



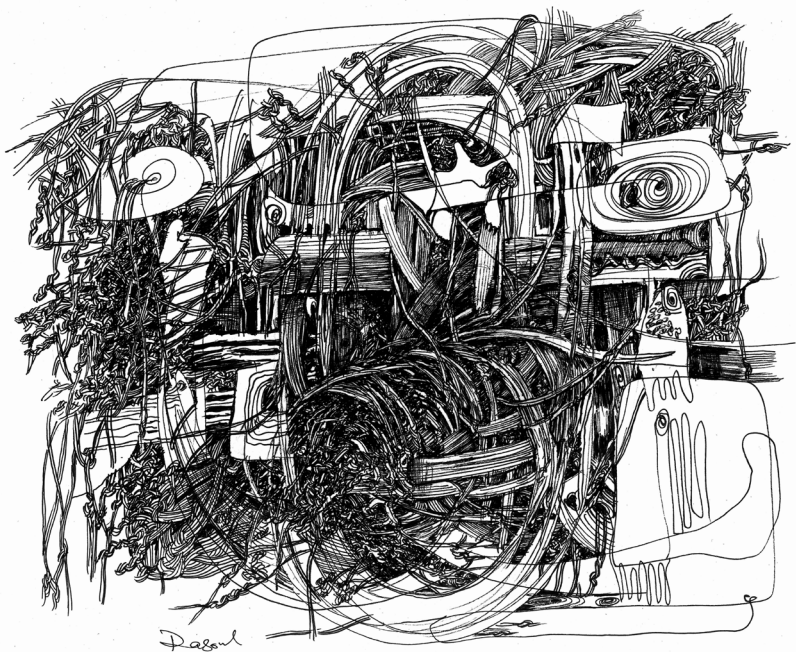
فِي التَّبْضِ. لَكِنَّهُ سُرْعَانُ يَنْضَرِمُ فِي النَّسِيَانِ، دَاخِلًا عَيْنَ الْمُسْتَدْرِكِ،
عَيْنَ الْمَجَاعَةِ، عَيْنَ الْإِعْصَارِ، يَثْرُتُ تَتَوَالِدُ فِي بَثْرِيَّتِهَا وَتَتَسَّعُ فِي جُوعِهَا. يَثْرُ
مُسَطَّحَةً، عَلَى امْتِدَادِ اللَّغَةِ، تَسْتَزِرُّ السَّرْعَةَ، الَّتِي لَا تَنْبُتُ فِي الْمَسَافَةِ
وَالزَّمَنِ، بَلْ فِي التَّنَوُّعِ، الْانْحِرَافَاتِ، الطَّوَارِيءِ، الْمُنْمَنَاتِ، التَّخْرِيجِ،

الصَّدْفَة، التَّرْدُّدَاتِ، التَّرْدُّدِ، الأمراضِ، البراكينِ، الانتحاراتِ المَثْقُوبَةِ،
 الفُلُولِ، وكلِّ إِزَاحَةٍ، ضِدِّ، واقتِلاع. على ذلك تَنْدَرِجُ السُّرْعَةُ في النَّسيانِ؛
 لِأَنَّ السُّرْعَةَ سَرَطَانُ الثَّابِتِ، والنَّسيانُ فَجَوَاتُهُ التي تَهْبُّ مِنْهَا سُرْعَتُهُ.
 النَّسيانُ بِئْرٌ حَسَّاسَةٌ لِلْحَسِّ، أَبْجَدِيَّةٌ مُعَقَّدَةٌ مِنْ حَرْفٍ مُتَمَدِّ هُوَ نَظْرَةُ
 اللّامَنْظُورِ إِلَى عَالَمٍ عَيْنِ الْمُسْتَدْرِكِ. النَّسيانُ ذِكَاؤٌ يَتَحَقَّقُ فِيهِ الْمُغْفَلُ
 فِي الإِغْفَالِ، سُقْيَا تَتَحَفَّظُ عَلَى شُعُوبِ الْمُسْتَدْرَكَاتِ. النَّسيانُ قَنْطَرَةٌ
 الشَّانِ يَعْبرُهَا بَيْنَ فُجُورِهِ فِي نَظْرَةِ الْمُسْتَدْرِكِ وَفُجُورِهِ فِي عَفْلَتِهِ. هُوَ صِفَرٌ
 تَهْبُّ مِنْ كُنُوزِهِ أَلْحَانُ السُّرْعَةِ. النَّسيانُ لَحْظَةٌ مِنْ لَحَظَاتِ السُّرْعَةِ، لَحْظَةٌ
 أَحْفُورِيَّة. أَيُّ عَيْنِ الْمُسْتَدْرِكِ، عَيْنُ الْمَجَاعَةِ، عَيْنُ الإِعْصَارِ، بِئْرُهَا
 أَقْبَلَ جَنَاحٌ دُونَ طَائِرِهِ، هَا تَدْوِيمٌ يَحْتَجُّ بِلَا جَنَاحِهِ، هُوَ الْفَضَاءُ مُبَقَّعٌ
 بِجِمَارِ الْوَحْشِ، هُوَ السَّرْبُ خَارِجَ حَرَكَتِهِ، انْفِطَامُ النَّظَرَةِ مِنَ الْمَنْظُورِ
 وَمِنَ النَّظَرِ، كُلُّ شَأْنٍ شَأْنُهُ، تَلْيِيَّةٌ فِي الْمَخْضِ، نَقَاءٌ فِي الشَّظْفِ، عَضَلَةٌ
 حُرَّةٌ مِنَ الْإِعْمَالِ؛ يَصْرُخُ الْمُسْتَدْرِكُ لَقِيَّتِهِ، لَكِنَّ صُرَاخَهُ انْبَتَتْ،

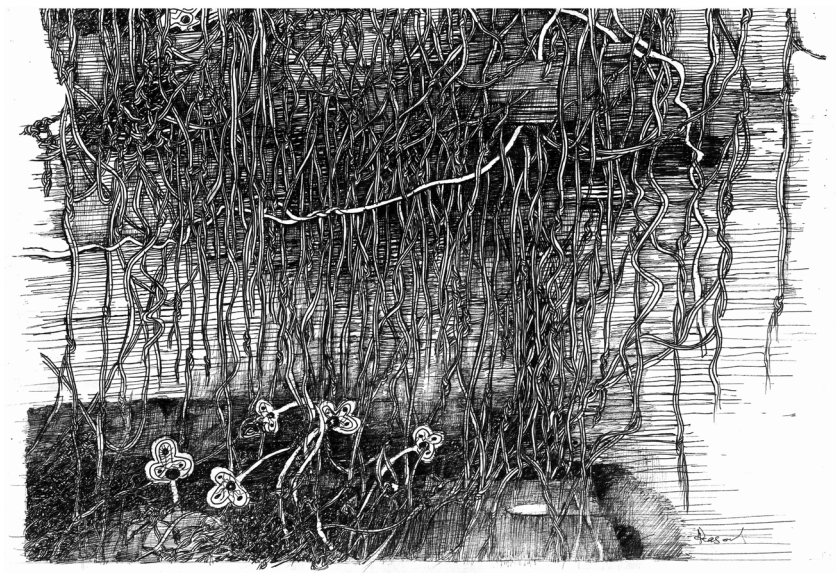


الصَّرخَةُ هَاجَرَتْ مِنَ الصَّوْتِ. الصَّرخَةُ نَشَأَ جَدِيدٌ مُحْتَدِمٌ. الصَّرخَةُ
دَمٌ تَسْرِي فِي حَلَمَاتِهِ صَخْرَةُ الْبَهَاءِ الْجَاهِلِ أَنْ حَانَتْ الْبِئْرُ، حَانَ فُرَاقُ
الطَّرِيفِي، حَانَتْ اللَّغَةُ الْقَدِيمَةُ، حَانَتْ الْخِيَانَةُ الْجَدِيدَةُ، حَانَتْ فُؤُوسُ
الْحَيَالِ، حَانَتْ شَجَرَةُ الْفَأْسِ، حَانَ تَرْمِيمُ الْمُطْلَقِ، حَانَ الْمُتَرَمَّمُونَ.

الكَوْنُ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِيهِ الْمُسْتَدْرِكُ هُوَ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ
فِي لُغَاتِهِ الْمَنْسِيَّةِ. كَلِمَةٌ اسْتَعَادَهَا حِينَ قَفَزَ فِي
الظَّلَامِ وَمَا كَانَ قَطُّ آمِلًا فِيهَا، لَكِنَّهَا التَّحَمَّتْ فِيهِ
وَصَارَتْ كِيَانَهُ الْقَافِزَ.

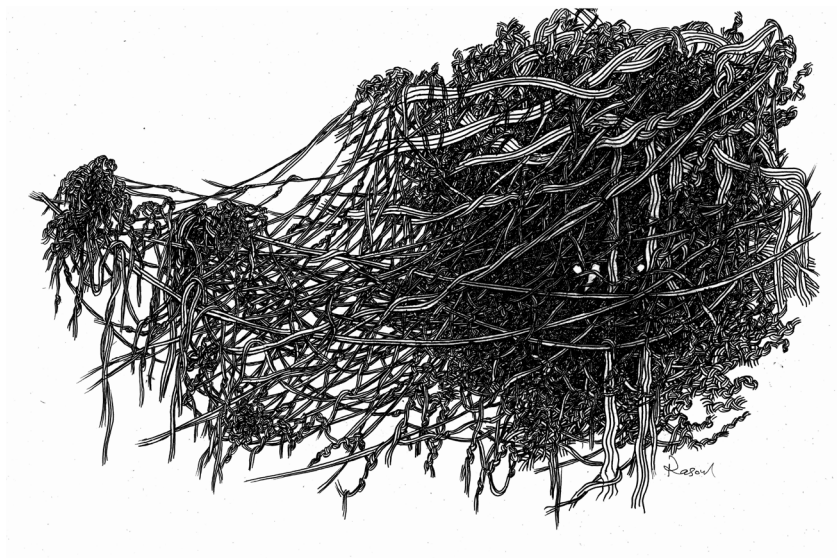


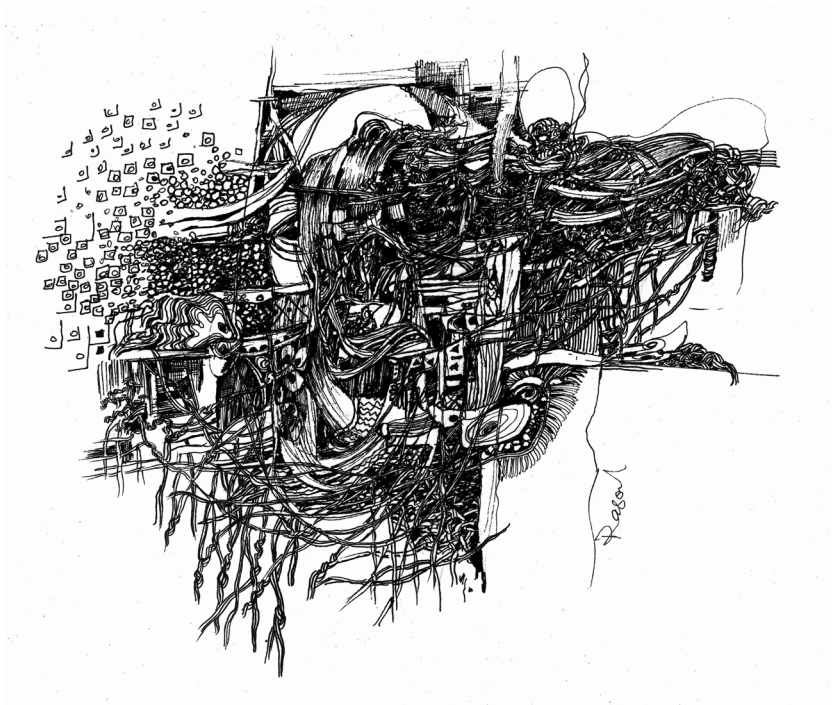
ذلك الالتحام ليس هديّةً، إنّهُ انتحارُ الكَلِمَةِ، التَحاقُهَا بانتحاراتِ
المُستدركِ، قَفَزَتْهَا فِيهِ لِتَصِيرَ كُلُّ مَا لَيْسَ كَلِمَتَهَا. تَمْنَحُ الكَلِمَةُ ذَاتَهَا
لصِرورةٍ بَرِيَّةٍ، وتتحركُ فقط في مَجَالَاتٍ تَسْمَحُ بِتَخْصِيصِهَا.



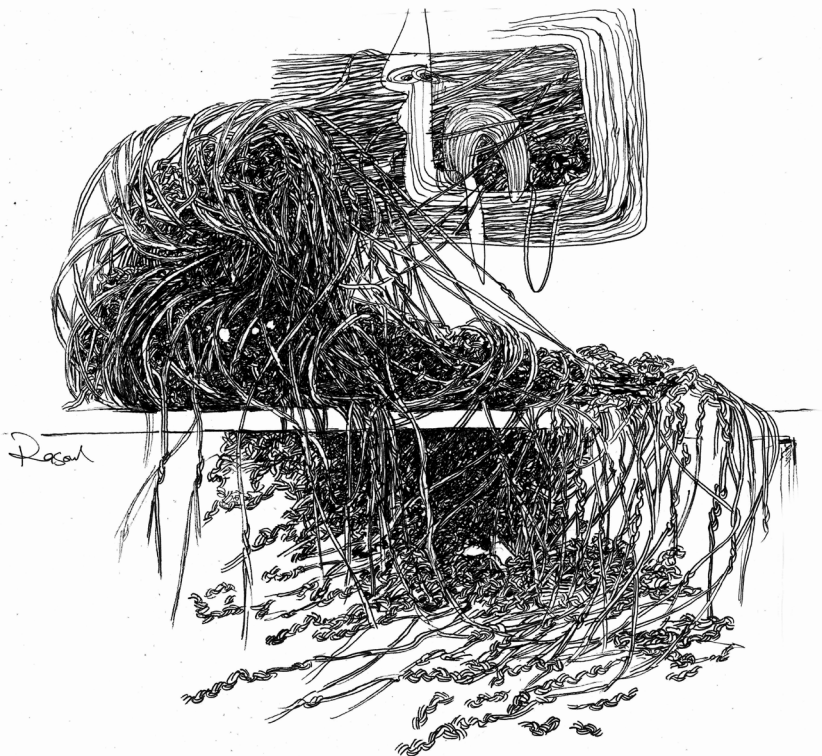
ها هي كَلِمَةٌ تُنَادِي صِرَورَتَهَا،
ها هو غِشَاءٌ يُغْوِي بِنَصْلِهِ،
ثُمَّ يَأْكُلُهُ.

لِكُلِّ حَيٍّ كَلِمَةٌ تَخُصُّهُ، تَتَوَالَّدُ حَوْلَهُ وَتَطْنُ فِي غَيْبُوبَاتِهِ.
كَلِمَةٌ قَدِيمَةٌ، مُهْتَرَّةٌ، جَائِمَةٌ فِي الْمَوَاصِلِ حَتَّى أَنْ
الْكُلَّ يَعْرِفُهَا، يَتَنَاوَشُهَا، وَيَتَنَدَّرُ بِهَا. لَكِنَّهَا نَقْشٌ لَا
يَفُضُّهُ إِلَّا تَشَرُّدُ مَا هُوَ لَهُ وَانْهِيَارَاتُهُ.





لذلك هي ليست كَلِمَةً، وهي بالأَخَصِّ ليست قَدِيمَةً،
بِقَدْرِ ما هي عُنْصَرٌ مَنظُورٌ في عَمَى الكِيمياءِ، أو
طُعْنَةً تَنْسَخُ ذَبْدَبَاتِهَا في حَرِيرِ الدَّمِّ إلى أن يَحْدُثَ
الحَرِيرُ في الدَّمِّ.



تلك هي القفزة التي تَلِدُ لُغَتَهَا، أو تَسْتَدْرِكُ نَقَشَهَا،
التَّخَاطُبُ الفَعَالُ بين انتِحَارَيْنِ مُتَعَاكِسَيْنِ، لُغَةُ
الشَّخِصِ المُسْتَعَادَّةُ من مُسْتَعْمَرَاتِ التَّوَاصُلِ،
صَوْتُ الغِشاءِ، الصَّوْتُ المَرِحُ الخَارِجُ من أنْقَاضِ
السَّوَائِلِ، الصَّوْتُ المَكْتومُ الذي لا يُدْرِكُ إِلَّا
كَرَاحَةً، انْبِعَاثٌ فِينِيقٍ مَكَانُهُ رَعْشَةُ مُتَنَاهِيَةٍ شَرِهَةٍ
مُتَنَاهِيَةٍ حَرَكَةٌ مُتَنَاهِيَةٍ فِي عَضَلَةِ الذَّاكِرَةِ.

١٨ أبريل ٢٠١٣م



